البناء الحضاري في سورة يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ

د. طالب محمد عبد القادر الصرايرة *

تاريخ وصول البحث: ٢٠٠٧/١/٢٤م تاريخ قبول البحث: ٢٠٠٨/١٢/٤م

ملخص

عرضت الدراسة البناء الحضاري في سورة يوسف بوصفها أنموذجاً من الرسالات النبوية التي تُمثِّلُ النور الحضاري للأمم، لمن توفرت فيه صفات الصلاح وامتلاك إرادة الإصلاح ومقوّماته وأدواته، وقد قسمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: الإنسان.

المبحث الثاني: الفكر أو المنهج.

المبحث الثالث: الأشياء.

Abstract

This study shows the civilised structure in Joseph's Sura as a model of the prophetic messages – the civilised light for nations- to whom who has the qualities of usefulness as well as the possession of reform's factors and its tools.

The study is divided into three sections these are, the human being, the thought or the method, and the things.

المقدمـة:

إن ميلاد الحضارة لا يعني أن أمة ما قد ظهرت – فجأة - في التاريخ، فإن الوجود التاريخي للأمم إنما هو فعل قدري لا يملكه إلا خالق الوجود ﷻ.

وإنما يقصد بميلاد الحضارة ظهور إرادة بشرية وجدت لديها عناصر الانطلاق والإبداع، فسعت إلى أن تقوم بدور حضاري، مستعلية على مجرد وجودها التاريخي، الذي تشرك فيه معها سائر الكائنات النباتية والحيوانية.

إن البناء الحضاري بناء مختلف في إطار درجاته أو في أطار أساليبه في التعبير عن هذه الحاجات والاستجابة لها.

والبناء الحضاري يقوم بدرجة أساسية على الإنسان نفسه، بإرادته ووعيه، يعزى الفضل الأول في القيام بأية حضارة إنسانية، وذلك بعد عون الله وإذنه.

إن الحضارة الإنسانية هي تعبير فطري عن حاجة إنسانية يتميز بها الإنسان عن سائر الكائنات، ففي داخل كل إنسان فرداً أو جماعة حاجة تلح عليه وتؤكد له عبر عدد من النوازع والسلوكيات أنه شيء متميز عن الكائنات الأخرى، وأنه يحس باختلافه عن مستواها، ويحس بأنه قادر على ما لا تستطيع هي أن تقدر عليه، لقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [١٦٥: الأنعام].

إن بناء الحضارة قرار إنساني يعتمد على الإنسان والفكر، ثم الأشياء، ومن ثمَّ فصناعة الإنسان للحضارة عندما تتوافر لديه الإرادة والوعي، تحتاج لثلاثة عناصر أساسية لا غنى لواحد منها عن الآخر:

* أستاذ مساعد، قسم أصول الدين، كلية الشريعة، جامعة مؤتة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١. (إنسان) مؤهل للقيام بالدور الحضاري المطلوب، معد نفسياً وأخلاقياً لتحمل المسؤولية، ويدخل في عنصر الإنسان (الزمان) باعتبار الإنسان حقيقة زمانية لا تنفصل عن الزمان، ووجوده وجود زماني بدرجة كبيرة.
٢. (فكر) يقود خطوات الإنسان ويلهمه ويدفعه إلى التضحية والإيثار ويسمى هذا الفكر بالعقيدة، ويسميه آخرون بالثقافة أو الجانب المعنوي للحضارة.
٣. (أشياء) يستطيع الإنسان أن يجد فيها المواد الخام المادية التي يبرز من خلالها فكره، ويسمي بعضهم هذه الأشياء بالجانب المادي في الحضارة، أو يطلق عليه بعضهم مصطلح المدنيّة، ويسميها بعضهم (بالأرض أو التراب)(١).

وهكذا فلا حضارة إنسانية إلا بهذه المنظومة الثلاثية(٢):

١. إنسان (كينونة وزمان).
٢. فكر (عقيدة وثقافة).
٣. أشياء (التراب ورأس المال وشتى العوامل المادية).

وهذه المنظومة بعناصرها الثلاثة تحتاج -لكي تبقى فاعلة ومؤثرة- إلى أن تتوازن النسب بينها، ويعطى كل عنصر قدره في المرحلة التاريخية التي تمر بها الحضارة، ولا تسقط الحضارات لأنها خلو من هذه العناصر، بل إنما تسقط الحضارات عندما تطغى نسبة عنصر على عنصر، فعندما يُعبد الإنسان الفرد، ويصبح هو الهدف، وتصاغ الحياة -بوسائلها وأهدافها- من أجل استمتاعه، يقع الخلل وعندما يطغى الفكر ويذوب الإنسان فيه على حساب الإنسان أو الأشياء فيترك العمل، ويصبح الفكر لمجرد الفكر، ويريد بعضهم أنّ يصوم فلا يفطر، ويقوم آخر فلا ينام، ويترهبن ثالث فلا يتزوج(٣) هنا يطغى تألق (الفكرة) وتهدد الحياة بالخلل، ويجب تقويم الميزان، وتحقيق العدل بين العناصر.

ومن الغريب أن أحد المفكرين المعروفين أنشأ كتاباً أسماه (التفسير القرآني للتاريخ)(٤) فإنه لم يتكلم في كتابه هذا إلا عن عنصر واحد هو (الأشياء) فتحدث – فقط- عن الجوانب المادية من أرض واقتصاد وثروة وعمل ورأسمال وتنظيم وتخطيط وسياسة زراعية وتجارة وادخار واستثمار وموضوعات فرعية تتصل بها، فإذا علمنا أن هذا المفكر هو الدكتور راشد البداوي الذي ترجم (رأس المال) لكارل ماكس إلى العربية فضلاً عن كتب أخرى تدور كلها حول (الاقتصاد) والمذاهب الاشتراكية والقاموس الاقتصادي.

إذا علمنا هذا أدركنا مع - أنّا نُبرّئ الرجل من الفكر الاشتراكي- كم يضيع الإنسان ويضيع الفكر المعتقد وتطغى الأشياء في الفقه الحضاري حتى لدى مفكرين من أمثال هذا المفكر.

إن الحديث عن الآيات القرآنية التي تحث على الزراعة أو التجارة أو الصناعة إنما هو حديث في التطبيقات والتفصيلات والثمار الحضارية، لكن عناصر إبداع الحضارة ليست هي هذه (الماديات) التي تنشأ تلقائياً وتزدهر في الطور الثاني للحضارة، حيث تتجاوز الحضارة مرحلة الميلاد والتكون، وتزيح كل أخطار الميلاد، وتقف على أقدامها فتية قوية، وتبدأ في إفراز بعض قوتها من خلال عدد من المجالات الاقتصادية والمادية، وعند توافر عناصر الانطلاق لأمة من الأمم في طريق التحضر، حتى لو كانت الأمة ذات سابقة حضارية، فإن عليها أن تهتم بتوفير العناصر الثلاثة الأساسية محافظة على الترتيب والنسب.

قال تعالى: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾**[النحل: ٩٧]، ففي الآية يوجد (الإنسان) الذي (يعمل صالحاً) وهو مؤمن (بالعقيدة والفكرة)، فمثل هذا الإنسان العامل (كل عمل صالح مادي أو عقلي أو روحي) عن إيمان ومنهج وفكر، وهو الإنسان الذي يستطيع أن يصل إلى الحياة الحضارية اللائقة به.

وناقشت الدراسة البناء الحضاري في سورة يوسف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في ثلاثة مباحث:

١. المبحث الأول: الإنسان.
٢. المبحث الثاني: الفكرة أو المنهج.
٣. المبحث الثالث: الأشياء وقيمتها الحضارية.

التمهيد: التعريف بالسورة:

سورة يوسف سورة مكية عدد آياتها ١١١ آية، وهي سورة جامعة "لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين، والجن والإنس، والأنعام والطير، وسِيَر الملوك والممالك والتجار والعلماء والجهّال، والرجال والنساء وحيلهنَّ ومكرهنَّ، وفيها ذكر التوحيد والفقه، والسير وتعبير الرؤيا، والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش، وجمل الفوائد التي تصلح للدين والدنيا"(٥).

المبحث الأول
الإنسان

إن العنصر الأول في البناء الحضاري هو (الإنسان) حظي بكثير من الاهتمام في القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ حيث عاش الرسول ﷺ جزءاً كبيراً من فترة رسالته يبني هذا الإنسان، ويصنعه في مكة، ثم في المدينة، حتى تكوَّن أفضل جيل عرفته البشرية على الإطلاق.

ويبين الله في كتابة الوظيفة الحضارية المنوطة بالإنسان على الأرض فيقول: **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾**[٣٠: البقرة]، ويقول: **﴿وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾**[٩: المائدة]، والاستخلاف هنا: "أي ليجعلهم خلفاء متصرفين فيها تصرّف الملوك في ممالكهم أو خلفاء من الذين كانوا يخافونهم من الكفرة بأن ينصرهم عليهم ويورثهم أرضهم"(٦).

إن هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق في قوله تعالى: **﴿خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ﴾**[٦: الطارق]، هذا الإنسان الذي كرمه الله تعالى واختاره لصناعة الحضارة لقوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾**[٧٠: الإسراء]، وهذا التفضيل: "إن الله تعالى فضل الإنسان على سائر الحيوانات بأمور خلقية طبيعية ذاتية مثل العقل والنطق والخلق والصورة الحسنه والقامة المديدة، ثم إنه تعالى عرضه بواسطة ذلك العقل والفهم لاكتساب العقائد الحقة والأخلاق الفاضلة، فالأول تكريم والثاني تفضيل"(٧).

إن الإنسان صانع الحضارة هو نفسه الذي سجدت له الملائكة في قوله تعالى: **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾**[٣٤: البقرة] وهو الذي تعلم الأسماء كلها في قوله تعالى: **﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾**[٣١: البقرة]، وهو الحر الذي يختار طريقه بإرادته في سورة أسماها الله (سورة الإنسان) في قوله تعالى: **﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾**[٤: الإنسان]، ولذلك جاءت سور متعددة في كتاب الله تعالى تحمل أسماء أشخاص هم أنبياء الله ورسله -جل وعلا- كسورة إبراهيم وهود ويوسف عليهم السلام تدل على أهمية النبي الإنسان في صنع الحضارة، وأهمية إخوته كذلك من بعده في ميلاد وبناء مجتمعاتهم.

ومن النماذج الحضارية الرائعة شخصية حضارية هي شخصية سيدنا يوسف عليه السلام في سورة حملت اسمه الدال على الخصوبة والسمن(٨)، خصوبة في الجمال وسمنٌ في الفكر والتخطيط والبناء.

إن سيدنا يوسف عليه السلام تميز بالأخلاق الفاضلة؛ إذ إن الأخلاق لها دور كبير في بناء الحضارة، فعرف في السجن بالجود، والأمانة، وصدق الحديث، وحسن السمت(٩)، وكثرة العبادة ومعرفة التعبير -أي تأويل الرؤيا- والإحسان إلى أهل السجن، فأحبه كل من رآه عليه السلام امرأة العزيز، وأهل السجن، وأحبه صاحب السجن فوسَّع عليه، "فقال له يا يوسف: لقد أحببتك حبًّا لم أحب شيئا حبك؛ فقال أعوذ بالله من حبك، قال: ولِمَ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذلك؟ فقال أحبني أبي ففعل بي إخوتي ما فعلوه، وأحبتني سيدتي فنزل بي ما ترى"[١٠].

فكان كما وصفه خالقه جل وعلا ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٣٦: يوسف]، أي تؤثر الإحسان وتأتي بمكارم الأخلاق وجميع الأفعال الحميدة[١١]، وهذا يدل على إن الإحسان أمر معلوم لكل البشر حتى أصحاب النفوس المنحرفة، فلا أحد يمكن أن يحكم على الآخر أنه محسن إلا إذا وافق عمله مقاييس الإحسان في ذهن من يصدر هذا الحكم[١٢].

ومن أسلحة البناء الحضاري صدقه عليه السلام حيث وصفه القرآن الكريم بأنه صدِّيق في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾[٤٦: يوسف]، وهذا يدلنا على أن الصدق ملازم له دائماً في القول وفي الفعل[١٣] فكان عليه السلام بليغاً في الصدق فعرفوا ذلك من صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه[١٤]، فالصدِّيقية لديه ذاتية عنده وإشراقية من الله[١٥]، لذلك أخذ السائل أسلوب الاحتياط؛ ليخرجه من أن يكون كاذباً[١٦] في قوله تعالى: ﴿لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٤٦: يوسف].

فالصدق عامل من عوامل البناء الحضاري في جميع مجالات الحياة المختلفة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ... الخ، وتبين ذلك في صدق البطانة مع الملك عندما طلب منهم تفسير رؤياه في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ﴾[٤٤: يوسف]، فأجابوه بقولهم أضغاث أحلام وعدم علمهم بذلك، وهذا صدق من البطانة في ألاّ يخبر أحدهما بشيءٍ إلا إذا كان على علم به، ولا يضر أحدهم إن يعلن جهله بأمر لا يعلمه؛ ولذلك قال العلماء ليفسحو مجال الصدق في الفُتيا: "من قال لا ادري فقد أفتى"؛ لأنه حين يقول لا أدري سيضطرك إلى أن تسأل غيره"[١٧].

وكان العلم والإحاطة بتفسير الرؤيا لصاحب العلم سيدنا يوسف عليه السلام الذي قال فيه الحق تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[٢٢: يوسف]، والحكمة هي العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه، وفي ذلك تنبيه على أنه كان محسناً في عمله، متقياً في عنفوان أمره، وأن الله آتاه الحكم والعلم جزاءً على إحسانه[١٨]، ويتبين لنا أهمية العلم والعبادة في بناء الحضارة في حياته عليه السلام وكان ذلك لسيدنا -رسول الله ﷺ- في أن الآيات الأول في النزول كانت تأمره بالعلم وتحثه عليه في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[١-٥: العلق]، إذ إن العبودية للخالق -جل وعلا- مرتبطة بالعلم ارتباطاً وثيقاً، وكل ذلك يسهم في ميلاد الحضارة وتكوينها، ومن المعلوم أن جزيرة العرب مثلاً لم يكن بها قبل نزول القرآن إلا شعب بدوي يعيش في صحراء مجدبة، يذهب وقته هباءً لا ينتفع به، ثم ولَّدت كلمة (اقرأ) الحضارة الجديدة؛ لأنها كونت للناس شرعه ومنهاجاً أدهشت النبي الأمي عليه السلام وأثارت معه وعليه العالم، فمن تلك اللحظة وثبت القبائل العربية على مسرح التاريخ، حيث ظلت قروناً طويلة تحمل للعالم حضارة جديدة وتقوده إلى التمدن والترقي.

ولهذا فإن الصورة الجديدة للحياة الحضارية قد تبدأ بفرد واحد، يمثل نواة المجتمع الوليد، وذلك بلا شك هو المعنى المقصود من كلمة أمَّة عندما أطلقها القرآن الكريم على إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾[١٢٠: النحل]، لاحتوائه على خصال الكمال ومواهب الفضل كلها[١٩]، ففي هذه الحالة نجد أن المجتمع (الأمة) يتلخص في (إنسان واحد)، أي إنّه يتلخص في مجرد احتمال حدوث تغيير المستقبل، ما زال في حيز القوة، تحمله فكرة يمثلها هذا (الإنسان) [٢٠].

ولذلك طلب سيدنا يوسف عليه السلام أن يتولى وزارة الاقتصاد في مصر؛ لأنه يمتلك المؤهلات الاقتصادية للقائد في قوله تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[٥٥: يوسف]، فوصف نفسه بالأمانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه، وقال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله تعالى وإقامة الحق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبسط العدل، والتمكن مما لأجله تبعث الأنبياء إلى العباد، ولعلمه أن أحداً لا يقوم مقامه في ذلك، فطلب التولية ابتغاء وجه الله، لا لحب الملك والدنيا(٢١).

وهذا الصفات كما ترى من أهم صفات المُستَخلَف الحضاري، وهذه الآية تدل على جواز إن يخطب الإنسان عملا يكون له أهلاً(٢٢) لإقامة العدل وإجراء أحكام الشريعة(٢٣)؛ لأن السعي في إيصال النفع إلى المستحقين ودفع الضرائب عنهم أمر مستحسن في العقول(٢٤)، وفيه من النصح للأمة خاصة إذا لم يكن ممن يتهم على إيثار منفعة نفسه على مصلحة الأمة(٢٥)، وهنا يكون التدخل فرض عين من أجل إنقاذ المجتمع؛ لحجب من ليس له خبرة أن يتولى منصباً لا يعلم إدارته، وبهذا يصير الباطل متصرفاً، وبذلك يظهر وجه الحق ويزيل سيطرة الباطل(٢٦).

فاختيار القائد الحضاري المرتبط بمنهج الله من باب إعداد القوة المأمور بها في القرآن؛ لأنها بيئة حضارية ضرورية للأمم حتى ترتقي حضارياً، فهي من عناصر الصلاح الحضاري في دفع المفسدين عن تولي زمام المسؤولية، وجلب المصلحين لها، لصيانة المجتمع من عوامل السقوط الحضاري في قوله تعالى: **﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾**[٦٠: الأنفال].

فالقادة للأمة كالقلب للإنسان، إذا صلحوا صلحت الأمة، وإذا فسدوا كان الهلاك والدمار حتى يعود إلى شرع الله تعالى(٢٧) فوجود القيادة القادرة على البناء من أعظم الواجبات الدينية؛ لأن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع، لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس(٢٨)، فالقيادة تكليف لا تشريف فإن عجز القائد عن تطوير جماعته واخفق في تحقيق النجاح لها، عادة جندياً بسيطاً دون حرج، وفسح المجال لغيره، لعل في الجماعة من هو أكفأ منه لقيادتها(٢٩)، ولقد اختار سيدنا شعيب سيدنا موسى -عليهما السلام- لأمانته وقوته فهما أساس في صنع وتكوين الحضارة كما في قولــه تعالى: **﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾**[٢٦: القصص]، فالقوة على العمل والأمانة في الأداء شرطان لابد منهما في القائد(٣٠).

وكل ذلك مرتبط بسنة التغيير في قوله تعالى: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾**[٥٣: الأنفال]؛ ولذلك لا سبيل إلى إقامة الأمن الحضاري للخليفة الحضاري المؤمن إلا بوطن آمن حضارياً يكون الوعاء الذي يؤمن فيه الفــرد على إسلامه، ويحقق فيه الإسلام الأمن لهــذا الإنسان(٣١)، وفي ظلاله يؤدي كل فرد واجبه على أحسن ما يكون، وتؤدي كل جماعة واجبها على أحسن ما يكون(٣٢)، وهذا ما حققه سيدنا يوسف عليه السلام في مصر، وكل ذلك يتطلبه واقع الحكومات الإسلامية المعاصرة من أن يمتلك وزير المال والاقتصاد هذه الصفات القيادية، فإن لم يكن ذلك يكون الفساد والهزات الاقتصادية وبخاصة إن أوكلت قيادة تلك الوزارة إلى من يفتقد هذه الصفات أو أوكلت إلى وزير علماني أو نصراني لقيادتها، وهذا عام في كل من يتولى مسؤولية أو منصباً مما يوجب عليه حراسته وحفظه بما يرضي الله تعالى.

وأعقب ذلك التمكين الحضاري لنبي الله يوسف عليه السلام في قوله: **﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾**[٥٦: يوسف]، ونفهم من أنه جعل لنفسه بيتاً في أكثر من مكان، لكي لا يظن ظان أن هذا من اتساع أماكن الترف، ولكنه شيوع العناية بالخدمات لكــل الذين يكونون في هذا البلد، ولقطة التبوء تلك توضح أن التبوء حيث يشاء ليس رحمة به فقط، ولكنه رحمة بالناس أيضاً، فمن كان يحيا بلا مياه صالحة للشرب ستصله المياه النقية، ومن كان يشقى من أجل أن يعيش في مكان مريح ستتحول المنطقة التي يسكن فيها إلى مكان مريح به كل مستلزمات العصر الذي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يحيا فيه، وسيجد العناية من قبل الجهاز الإداري حيثما ذهب، وتغمر العناية الجميع، وهنا نجد الإحسان ينسب ليوسف؛ لأنه حين أقام لنفسه بيتاً في أكثر من مكان فقد أحسن إلى أهل الأمكنة التي له فيها بيوت بارتفاع مستوى الخدمة في المرافق وغيرها، فكافأ الله يوسف بالتمكين مع محبة من تولى أمرهم [٣٣]، وتوَّج الله ﷻ خلقه عليه السلام عندما خاطب إخوته الذين ألقوه في الجب بالعفو في قوله تعالى: ﴿قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٩٢: يوسف]، دعوة بالمغفرة جاءت في حدود معرفته لتصفية النفوس مما شابها بهذا اللقاء [٣٤]، فأزال عنهم ملامة الدنيا، طلباً من الله أن يزيل عنهم عقاب الآخرة[٣٥].

ومما تقدم يتبين لنا الشخصية الإنسانية الرائعة شخصية الحضارة الممتلئة بالخلق والجمال والإحسان التي أطلَّت على مصر ليجعل منها عليه السلام مكاناً حضارياً آمناً، يذكره القرآن الكريم لرسول الله محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[٣: يوسف].

المبحث الثاني
الفكرة أو المنهج

إن المنهج الذي يحكم سلوك الفرد (الإنسان) الأساس في بناء الحضارة؛ إذ إن المنهج قادر على التحضر بالأمم من كل مراحل السقوط، وعندما تسقط الحضارة في ذروة التاريخ، وتكون الأفكار سليمة وموجودة، فإن إمكانية إقلاع الأمة من جديد يكون أمراً ميسوراً، مهما كانت ضآلة الأشياء التي تملكها، ومهما كانت خسائرها –إبان مرحلة السقوط- في عالم الأشياء، فالفكر أو المنهج هو الرصيد المخزون للأمة عندما تفقد الأشياء، فالفكر أو المنهج لنبي الله يوسف عليه السلام هو الذي أطلق قطار الحضارة لمصر، والأمر نفسه كان لرسول الله عليه السلام حيث صار المسلم معبأً بمنهجه وفكره؛ ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

وهذا المنهج من أبرز واجباته أن يقدم تقنيناً سليماً لعلاقة الإنسان بمبدع الكون، ثم يقدم تفسيراً لعلاقة الإنسان بالكون، ولعلاقته بأخيه الإنسان.

ولعل من أهم العوامل التي ساهمت في بقاء الحضارة الإسلامية واستمرارها، على الرغم من الوهن الحضاري والتخلف الذي يمر به المسلمون؛ أنها حضارة التوحيد، حضارة الرحمة والعدل والمساواة، أنها حضارة مفتوحة للناس جميعاً، فلا تختص بقوم أو عرق أو لون أو جنس، وأنها تاريخية تمثل تاريخ النبوات من جانب، والمشترك الإنساني من جانب آخر، فكل العروق والألوان والأجناس شاركت بصناعتها؛ لذلك جاء عطاؤها إنسانياً كثمرة لقيمها، فهي حضارة إنسانية، حضارة الإنسان، ويصعب نسبتها إلى شعب أو لون أو قوم، وإنما نسبتها كان دائماً وأبداً للإنسان.

ومن أهم مقومات استمرارها وبقائها وجود القيم، قيم الوحي (المنهج) التي تشكل ضابطاً ومعياراً لمسيرتها، وإن هذه القيم ليست من وضع الإنسان ليعبث بها ويراوغ في تقويمها، وإنما هي قيم خالدة متأتية من خالق الإنسان العالم بتكوينه؛ لذلك فهي مؤهلة للإنتاج والنهوض في كل زمان ومكان وإنسان، وتشتد الحاجة إليها اليوم أكثر فأكثر للخروج من أسر الظلم والهيمنة والتسلط والاستكبار الحضاري الذي يمارس على الإنسان.

إن قيم الحضارة الإسلامية معاييرها (عالم أفكارها)، خالدة ومحفوظة حيث تعهد الله بحفظها قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٩: الحجر]، هذا إضافة إلى ما تمتلكه الأمة من التجربة الحضارية التي مرت بها الحضارة الإسلامية، الأمر الذي يؤهل الأمة لاستئناف رسالتها في كل حين والانطلاق من الواقع الذي هي عليه.

فالنبوات دليل رباني في بناء الحضارات، واقتلاع الأمم من ظلم الجهل والتخلف وإرشادهم إلى طريق الحق والنور والصلاح، يقول تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٧: الرعد]، وفي هذا الصدد يقول النورسي أحد رواد الفكر الإسلامي: ("إن القدرة التي لا تترك نملاً دون أمير، والنحل دون يعسوب، لا تترك حتماً البشر من دون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نبي، من دون تشريع، ... نعم هكذا يقتضي سر نظام العالــم")[٣٦]، إضافة إلى ذلك إن من الصفات الثابتــة للأنبياء والرسل أنه يجب في حقهم الصدق والأمانــة والتبليغ والفطانة، فالصدق يتجلى في مطابقة خبرهم للواقع، وأنهم لا ينطقون عن الهوى إن هو إلا وحي يــوحى، أما الأمانة فهم أحفظ الناس للحقوق وأظهر للحق والعدل بين الناس، وأما التبليغ فلأنهم أهل الفصاحة والبيان لما نزل عليهم من الوحي وتبليغه وإفهامــه للناس حسب مداركهم وعقولهم، وأما الفطانة فهم أكمل الخلق في الفطانة والفهم، هذه بعض أوصاف النبوة التي لا تكون بالكسب كما زعمت الفلاسفة، وإنما هي تأتي من بين اختيارات الله تعالى التي خص بها الموجودات[٣٧] فالقيم والمبادئ الإنسانية هي التي تخدم القضايا العمرانية، والبناء الحضاري المادي لا قيمة له إذا أُفرغ من روح القيم والفضيلة القائمة على مبدأ العدل والرحمة والإحسان، فالقيــم هي روح الحضارة وهي القائمة على حراســة حدودها من عبث العابثين وإفساد المفسدين، قال تعالى مجسداً هذه الحقيقة: **﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾**[١٢٨- ١٣٥: الشعراء].

وفي السياق نفسه يستعرض الحق سبحانه أنواع الحضارات التي فُرِّغ محتواها من القيــم ومن روح المنهج الذي يحميها من الزوال، قال تعالى: **﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾**[١٠: محمد]، وقوله تعالى: **﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْــنُ الْوَارِثِينَ﴾**[٥٨: القصص].

ولقد عرض القرآن الكريم عناصر المنهج المؤهلة للبنــاء الحضاري من لدن آدم عليه السلام (مؤسس الحضارة والعمران) عندما خاطبه الخالق: **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾**[٣٠: البقرة]، مشيراً سبحانه أن هذا المُستَخْلَف سيكون مسترشداً بعلم الله، وعمارته للأرض ستكون على هدى وبصيرة منه سبحانه.

ثم إن هذه العناصر تنتظم أموراً أربعة: العقيــدة والأخلاق والعبادة والعمل في قوله تعالى: **﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**[٢٧-٣٠: المائدة].

والقرآن الكريم يعيد للذاكرة المؤمنة ما ينشلهــا من سقوطها الحضاري لتعاود عهد استخلافها وبنائها الحضاري من جديد؛ لتكوين حضارة ربانية مضيئة في حياة البشرية، كما سجل القرآن الكريم ذلك لحضارات مؤمنة تحلَّت بسمات القيادة الربانية التي تحكم بمنهج الله تعالى، آخذة بأسباب الاستخلاف في الأرض لقوله تعالى: **﴿قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** [٣٨: البقرة]، وهذا الهدى كان ثمرته التمكين للنبي يوسف عليه السلام في قوله تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾** [٥٦: يوسف]، وفي ذلك دلالة على تشريفه والمبالغة في كمال ولايته عليه السلام[٣٨]، وفي ذلك يقول الرازي: "فالتمكين ليوسف في الأرض ليس إلاّ من خلق الله تعالى في قلب ذلك الملك بمجموع القدرة والداعية الجازمة اللتين عند حصولهما يجب (حصول) الأثر، فلهذا السبب ترك الله تعالى ذكر إجابة الملك واقتصر على ذكر التمكين الإلهي، لأن المؤثر الحقيقي ليس إلا هو"[٣٩]، وبفضل التمكين بعد المحنة[٤٠]، استطاع يوسف علية السلام إن ينتشل المجتمع المصري من الفساد والانحطاط الاجتماعي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والانحلال الأخلاقي كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[٢٣: يوسف]، فالآيات القرآنية حاسمة الدلالة في ترتيب السلوك السيء على الفكر والسيء، كما أنها حاسمة الدلالة على أن شيوع الآثام والرذائل ليس سببا، وإنما هو عقوبة يصيب الله بها الأمم والأفراد تمهيداً لأخذها وهلاكها، إنه الاستدراج الإلهي الذي يحقق الله بــه ناموسه الكوني في أن لا يأخذ الناس بظلم وهــم مصلحون، ولا يأخذهم إلا بعد إن يمتعهم بنصيبهم المقدر من المتعة؛ حيث تتاح الفرصة لمن يريد أن يتمادى وتعميه فرص المتعة المباحة، وتتاح الفرصة أيضاً لمن يبقــى من وراء الحجب المادية والاجتماعية الحقيقة الأزلية فيؤوب إلى رشده، ويعود إلى الحق، ويجيبنا الحق تعالى بوضوح عن السبب الأساسي لظهور الفساد في الأرض، فيقول الحقيقة سبحانه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾[٤١-٤٢: الروم]، فالأمم لا تنحط وتزول إذا تناقص ذكاء أبنائها، بل إذا سقطت أخلاقها، وهذه سنه طبيعيه جرت على اليونان والرومان، وأخذت تجري في هذه الأيام أيضاً في فساد الأفراد وضعف الأمة وانحلالها(٤١)، فغنى المجتمع لا يقاس بكميــة ما يملك من (أشياء)، بل بمقدار ما فيه من أفكار(٤٢).

فهنــاك ارتباط عميق بين أحوال حياة النــاس وأوضاعهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية عامة وبين أفعالهم وسعيهم في الأرض، وكلما فسدت قلوبهم وعقائدهم فسدت أخلاقهم، ومن ثمّ تنهار أعمالهم، ويعم بها الفساد في الأرض وتتفشى شرارته في البر والبحر، وما ذكر القرآن الكريم أمة أصيبت بالدمار والهلاك إلاّ وذكر سببه وموجباته التي أدت إليه، وكيفية انحراف هــذه الأمة وفسوقها عن أمر ربها، حتى تكون عبرة لمن لا يعتبر، وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وإنما بما كسبت أيديهم.

كما أن باعث الدمار والهلاك لا يكون فسادا فردياً بل هو الفساد الجماعي والظلم العام، الذي يشمل العلاقات السياسيــة والاجتماعية والاقتصادية، بل يشمل كذلك مستوى الاعتقاد والإيمان والعمل الصالح واستبطــان غيره، ومعنى هذا أن ظلم الإنسان لنفسه بفساده العقيدي والعملي والأخلاقي ليس مدعاة للهلاك وسبباً للدمار والسقوط ما دام قاصراً على أفراد والأمة محتفظة بكيان استمراريتها وصلاحية ديمومتها وبقائها، ولكن إذا تجاوز الظلم والفساد مستوى الأفراد الذين لا يشكلون القاعدة أو الظاهرة العامة إلى مستوى دائرة الأمــة، أخذت تلك الأمة في الهبوط من علياء الكرامة والعز إلى درك الذل والهوان حتى تحين ساعة الدمار والسقوط(٤٣)، فتكون نهايتها.

إن السلوك الأخلاقي المنحرف لامرأة العزيز هو طريــق للانهيار الحضاري وليس الضعف المــادي، فالأخلاق القائمة على أساس عقدي وفكري سليم، هي الطريق الصحيح للحضارة، ولقد أشار العلامَّة ابن خلدون إلى هذا الأمر وذكر أن رقي الأمم لا يتحقق بتوافر القوة المادية أو رقي العقل (العلمي أو العملي المرتبط بفكرة أخلاقية) بل بتوافر الأخلاق الحسنة(٤٤).

ولئن كانت مرحلة الفساد الفكري والخلل العقدي تتميز بالضلال وظهور أئمة الفساد الذين يدعون الناس إلى الباطل، ويبررون كل فكر، ويخضعون مباديء الصراط القويم للمسار المنحرف، فإن مرحلة الذنوب تتميــز بأنها مرحلة انتشار وسائل الترف، وخضوع الأفكار للأشياء، وبروز العوامل المادية التي تهوي بالمجتمع إلى قاع الاستهلاك، حتى تصبح الثانويات والكماليات جزءاً أساسياً في حياته.

لقد امتلك يوسف عليه السلام أدوات الحوار الحضاري الناجح في مخاطبته لامرأة العزيز في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[٢٣: يوسف]،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي الخطاب عبرة عظيمة من العفاف والتقوى وعصمة الأنبياء قبل النبوءة من الكبائر(٤٥)، وكذلك مخاطبته لمن دخلوا معه السجن في قوله تعالى: ﴿**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[٣٦: يوسف]، فاستخدام أسلوباً يدل على شرف أصله وقدم فضله بأنه من بيت النبوة ومعدن الفتوة، ليكون ذلك أدعى إلى قبول كلامه وإصابة سهامه وإفضاء مرامه، ثم دعاهم إلى ما يجب عليهم من التوحيد وهو الإسلام، منادياً لهما باسم الصحبة بالأداة التي تقال عند ما له وقع عظيم في النفوس في المكان الذي تخلص فيه المودة، وتمحض فيه النصيحة، وتصفى فيه القلوب(٤٦)؛ لأن الإعراض عن النظر في أدلة صدق الرسل كفر بنعمة العقل والنظر(٤٧)، وقد تلطف عليه السلام بهما في ردهما إلى الحق وإرشادهما إلى الهدى حيث أبرز لهما ما يدل على بطلان ما هما عليه بصورة الاستفهام؛ حتى لا تنفر طباعهما من المفاجأة بإبطال ما ألفاه دهراً طويلاً ومضى عليه إسلافهما جيلاً بعد جيل(٤٨).

وهذا حوار حضاري يحيلنا على الأدب العالي بين طرفي الحوار، في علاقات يسودها الاحترام المتبادل بين يوسف وصحبه، وهو أسلوب رائع في رد الضال إلى الهدى؛ لأن بناء العلاقات الجيدة سبيل إلى بناء حياة جديدة.

إن التأسيس الحضاري الذي تطلّع إليه يوسف عليه السلام ينبني على إعادة بناء العقول بناءً ينسجم مع الفطرة السلمية التي تتساق في اختيارها إلى الموضوعية والعقلانية بناءً علمياً لا يختلف مع مقاصد الحياة والعمارة، ومن ثمّ يمنح الإنسان الذي امتلك أدوات المعرفة في قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾[٣٦: الإسراء]، كيانه ووجوده وصفاء الفطرة: ﴿**فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ**﴾[٣٠: الروم]، وأداءه الفعلي في البناء النافع وإحقاق للحق وإزهاق الباطل، ومن ثم إدراك المعنى والغاية الصحيحة من الخلق والاستخلاف، قال تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾[١١٥: المؤمنون].

إن دعوة يوسف عليه السلام كانت مبنية على العلم اللدني الرباني الذي به أنار طريق دعوته لذويه ولمصر، يقول تعالى: ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾[٢٢: يوسف]، وهذا ما نجده في علاقته مع يعقوب عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾[١٠٠: يوسف]، وطاعة الوالدين من أهم ركائز البناء الحضاري في وقت فقد فيه المجتمع المسلم المعاصر جانباً كبيراً من هذه الطاعة في قوله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً**﴾[٢٣-٢٤: الإسراء]، فانتشرت دور المسنين في شتى أرجاء العالم الإسلامي وفي ذلك دلالة واضحة على سقوط الأمة، وعندئذ يكون ذلك من معاول الهدم في حياتها، ويذكر ابن كثير في تفسيره: "إن الله تعالى رفع عن أهل مصر بقية السنين المجدبة ببركة قدوم يعقوب عليهم"(٤٩).

فأجلس يوسف والديه على السرير الذي يجلس عليه كما هو عادة الملوك، ولم يذكر إخراجه من الجب؛ لأن في ذكره نوع تثريب للإخوة، يقول تعالى: ﴿**قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[٩٢: يوسف]، يدل على المحبة والتقدير والإكرام، فاعتبر مجيء الأهل من البدو إحساناً إليه عليه السلام(٥٠) فقال سبحانه موجهاً رسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[١٠:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحجرات]، وهذا من أنبل مقومات البناء الحضاري في حياة الأفراد والشعوب.

أراد يوسف عليه السلام أن يجعل من إنسان قومه وإنسان مصر، ذلك الإنسان الذي يجنح نحو العقيدة الجامعة التي تجمع بين الدنيا والآخرة، فلا تحقر المادة لا في الصورة النظرية -باعتبارها هي التي يتألف منها هذا الكون الـذي نعيش فيه ونتأثر به ونؤثر فيه- ولا في صورة الإنتاج المادي؛ لأن هذا الأخير من مقومات الحياة، ولكنه لا يعتبر فيها القيمة العليا التي تهدر في سبيلها خصائص الإنسان ومقوماته، ويفقد بسببها حريته وكرامته وعرضه، وصدق الله العظيم حين قال: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[٧٧: القصص]، كما أن العقيدة تعترف بحقوق الجسد ومتطلبات الروح، والاعتراف بحق الجسد لا يستلزم إنكار الروحانية، ولا الحد من اشراقتها، إذ لا يوصف بالشمول دين ينكر الجسد، كما لا يوصف به دين ينكر الروح(٥١).

إن الصورة الحقيقية للبناء الحضاري تتشكل في إعمار الأرض بالنافع ودفع الضار، قال تعالى: ﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [٦٠: البقرة]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[١٦٨: البقرة]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[١٧٢: البقرة].

وهذا هو منهج وفكر جميع الأنبياء والرسل، جاؤوا بدعوة واحده وعقيدة واحدة، تتسم بالواقعية، تدعو الناس لعمل الدنيا والآخرة، وتؤسس النظام الحضاري من منطلق الأخلاق والقيم والعدل والمساواة، لا من منطلق العتو والفساد في الأرض واتباع الأهواء، ولقد جمع المعاني النبيلة للعقيدة الإسلامية (العمود الفقري للبناء الحضاري الإسلامي) سيدنا محمد علية السلام حينما أجاب فأوعى قائلا: قل أمنت بالله ثم استقم(٥٢).

المبحث الثالث
الأشياء وقيمتها الحضارية

إن قيمـة الأرض في الإبداع الحضاري قيمة لا تنكر، فهي مناط الزراعة وهي مناط الرعي، وهي بدرجة كبيـرة مرتبطة بالتصنيع وبقدر ما يستطيـع الإنسان استغلال الأرض الاستغلال الأمثل، وتطوير عطائها، وتوجيهه بقدر ما يستطيع إبداع حضارة إنسانية موجهة.

لقد حث القرآن الكريم والسنة النبوية على العمل وعلى استغلال الأرض، وعلى الصيد والزراعة والصناعة والتجارة ... الخ، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ﴾ [٢: المائدة]، ويقول: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ﴾ [٥: النحل]، ويقول: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾[٨٠: يس]، ويقول: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[٢٥: الحديد]، ويقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾[١٤: النحل]، إلى غيرهما من الآيات.

ولعل حديث الرسول ﷺ: "إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيله فليغرسها(٥٣)، وحديثه عليه السلام: "ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان أو بهيمه إلا كان له به صدقة"(٥٤)، وغيرها من الأحاديث، من أقوى الأدلة على احترام الإنسان لاستغلال الأرض وعالم الأشياء الموجهة للخير والمتناسقة مع حاجات الإنسان وأهدافه من الحياة.

ويذكر الدكتور عماد الدين خليل: "في يوم من الأيام أحصيت كم مرة وردت كلمة عمل في القرآن الكريم بتعريفاتها المختلفة، فإذا بها تبلغ ما يقرب من ٣٦٠-٣٦٥ مرة، كأن القرآن الكريم يريد أن يقول لنا أن السنة ٣٦٥ يوماً، إذن علينا أن نعمل ٣٦٥ يوماً في السنـة، كم في تاريخنا في فتراته المتأخرة بصورة خاصة كسالى قاعدون لم يعملوا من ٣٥٠ يوماً قبالة ٣٦٠ يوماً دعوة للعمل سوى يوم واحد في السنة أو عشرة أيام في السنة أو عشرين، يوم أن نتلقى هذا النداء جيداً ونعرف ما الذي يريده القرآن منا أن نفعل عنـد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذلك، فعلاً نستطيع أن نضع خطواتنا الأولى في بدايات حضارية صحيحة قادرة على أن تجد لها مكاناً في هذا العالم الذي يضيع فيه من لا يعمل"[٥٥]، ويقول في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٢٥: الحديد]، "القوة والعزة وحماية قيمنا الإيمانية في هذا العالم لا تتحقق بمليون سنة من الدعاء والذكر ما لم يرتبط الدعاء والذكر بفاعلية حضارية تنقب عن الأرض وتستخرج الحديد الذي أعطيناه"[٥٦].

إن من شأن البطالة والقعود عن العمل أن تزيد نسبة الجريمة في المجتمع، وتقضي على عنصري الطموح والتنافس الشريف اللذين يُمثلان دولاب الحياة والحركة، كما أن من شأنها أن تساعد على إيجاد جيل هزيل، فاتر العزيمة، متخاذل متواكل يستمريء الذل وتهون عليه نفسه، كما أن من شأنها أيضاً أن تولد لدى المرء شعوراً بالحقد والضغينة على الآخرين وإساءة الظن بالأقارب والأصدقاء، والإكثار من الشكوى والتلوم عليهم.

لذلك تعتبر حاجات الإنسان هي المحور الأساسي للإنتاج في الإسلام، إذ يتركز الهدف الرئيس للسياسة الاقتصادية الإسلامية في تدبير شئون الإنسان وتحقيق أكبر قدر له من الرفاهية وذلك باعتباره إنساناً أولاً، ثم باعتباره عنصراً فعالاً في المجتمع، فلا يحق لفرد أن ينعم بالرفاهية، وهو قاعد عن العمل متكاسل عن المساهمة في الإنتاج والبناء، إذ يجب أن تتحقق الرفاهية للجميع لسببين هما[٥٧]: أولهما: أن يتمكن الإنسان من القيام بواجبات الخلافة في الأرض وتنفيذ شرع الله فيها، وثانيهما: أن يستعين الإنسان بتلك الرفاهية على تأدية مهام عبادته لله، والقيام بواجباته نحو ربه؛ لتحقيق الغاية من وجوده في هذا الكون[٥٨]، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٥٦: الذاريات].

وذلك يهدف إلى تحرر الأفراد من العبودية الاقتصادية كالفقر والحاجة، والعبوديّة الاجتماعية كالجهل والمرض، حيث أن تنمية قدرات الإنسان المادية والفكرية، تسمح له بتحقيق طموحاته وتساعده على تقوية اعتماده على النفس، وتمكنه من المشاركة في إبداء الرأي بقوة وصراحة، وتفسح له المجال أمام المساهمة الفعالة في اتخاذ القرارات البناءة في المجتمع، دون خوف من الفشل، أو تردد في الرأي خشية التعرض للأنظمة والإجراءات المعوقة في طريق التنمية[٥٩].

ومن فضل الزراعة والعمل في الأرض الاشتغال عن الناس، والتنزه عن عيوبهم والبعد عن قيلهم وقالهم، وبخاصة إذا كان الإنسان ممن لا يملك القدرة على الإنكار، قال الشوكاني –رحمه الله- في تفسيره: "إن الاشتغال بالعمل فيها –أي الأرض- والاستغناء عن الناس بما يحصل فيها من القُرَب العظيمة، مع ما في ذلك من الاشتغال عن الناس والتنزه عن مخالطتهم التي هي لا سيما في مثل هذا الزمان سم قاتل، وشغل عن الله شاغل وذلك إذا لم يكن في الإقبال على الزراعة تثبط عن شيء من الأمور الواجبة كالجهاد[٦٠].

إن تعبئة الموارد الطبيعية تشكل الجانب المادي للبناء الحضاري بصفة عامة وهي تشمل جميع الموارد المادية التي خلقها الله للإنسان وسخرها له وذللها من أجل منفعته، وأورد القرآن الكريم معظم هذه العناصر في عدة آيات من سورة واحدة ليلفت إليها أنظار البشر ويحث الناس بها في آخر كل آية على التفكر والتدبر والتأمل في خلق الله[٦١]، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١٠-١٤: النحل].

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تدعو هذه الآيات وما في حكمها إلى التأمل والتدبر والبحث والتفكر في الظواهر الطبيعية لاكتشاف القوانين الحاكمة لها واستخدامها في خدمة البشر.

ولهذا يقدم القرآن الكريم أنموذجاً من القيادة الراشدة في سورة يوسف لتعتبر بها الأمة، إذ إن أرقى الدول تخطط وتضع البرامج لخمس سنوات وفي أحوال عادية وتسمى بالخطط الخمسية، بينما نرى يوسف يخطط لخمس عشرة سنة وفي أوضاع شاذة طغى فيها الحكم والنظام وكثر حوله المنتفعون في قوله تعالى: **﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾** [٤٧-٤٩:يوسف]، فأرشدهم إلى سياسة التموين والتخزين[٦٢]، ويقول القرطبي: "وهذه الآية أصل في القول بالمصالح الشرعية التي هي حفظ الأديان والنفوس والعقول والأنساب والأموال؛ فكل ما يضمن تحصيل شيء من هذه الأمور فهو مصلحة، وكل ما يفوت شيئاً منها فهو مفسدة، ودفعه مصلحة، ولا خلاف أن مقصود الشرائع إرشاد الناس إلى مصالحهم الدنيوية؛ ليحصل لها التمكن من معرفة الله تعالى وعبادته الموصلتين إلى السعادة الأخروية"[٦٣].

فاستطاع يوسف بذلك انتشال مصر من الانحطاط والتدهور الاقتصادي؛ إذ يشكل الاقتصاد عصب الحياة لأي أمة تريد شهوداً حضارياً لها، وهذا الأمر الذي تحارب من أجله الدول الاستعمارية المعاصرة وفي طليعتها الولايات المتحدة الأمريكية من احتلالها للعالم الإسلامي، وبخاصة في حروبها العسكرية لتأمين حاجاتها من النفط لبناء صناعاتها، وهذا ما نراه في احتلال العراق وسلب خيراته وثرواته، وكل ذلك أسفر عن وأد الأمة المسلمة اقتصادياً؛ لخضوعها إلى سلطان الحضارة الغربية بكافة مؤسساتها وفي قمة هرمها صندوق النقد الدولي الذي يتحكم بمصير أمتنا وشعوبها.

إن الفكر الحضاري الموجَّه قادر على صنع التاريخ الحضاري للأمة في نطاق العمل المشترك، حين توحّد عناصرها في خلق حياة إنسانية منظمة؛ إذ إن الحلول الفنية ينبغي أن تتكيف مع نفسية البلد الذي تطبق فيه ومع مرحلة تطورها[٦٤].

والخطة المثلى في تصحيح الأخطاء هي التوبة المستمرة من كل مخالفة، والانطلاق الجاد إلى العمل الصالح؛ لأن البطالة رجس من عمل الشيطان، وأن الله تعالى ليبارك للمخلصين له تعالى في جهدهم، لقوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾**[٦٩: العنكبوت]، وألا يستولي اليأس والخمول على العاملين، ويغيب عنهم هدفهم مهما أخطأوا، وليتشبثوا بالحزم واستئناف المسير ما بقيت في صدورهم أنفاس تتردد[٦٥]، وألا يكون حظهم من دنيا الناس هو الوكس والارتكاس ينامون في النور ويستيقظ غيرهم في الظلام.

والناظر في أحوال الأمة وحضارتها يجدها عالة على الأمم الأخرى في قوام حياتها وقد رضيت بالزرع واتباع أذناب البقر[٦٦]، ومع هذا لم يُعطهم زرعهم ولا بقرهم ما يغنيهم عن غيرهم، ومصيبة الأمة أن طاقاتها برغم كثرتها وتنوعها معطلة، ولا تعمل حتى بعشر قوتها، وأرخص شيء عندها الوقت، وأثقل شيء عليها هو العمل، وأقل الثروات قيمة هو الإنسان[٦٧].

فعقل الأمة طاقاته مهدورة اكتفاءً بالتقليد والنقل، فلا اجتهاد ولا إبداع، والعجب من أمة أول آية نزلت في كتابها (اقرأ) ثم هي لا تحسن القراءة، وإذا قرأت لا تحسن الفهم، وإذا فهمت لا تحسن العمل، وإذا عملت لا تحسن الاستمرار، وهيهات أن تنصر أمة أو تنهض من كبوتها وهذا حالها، إن الله تعالى علل انتصار المسلمين على أعدائهم من المشركين واليهود بأنهم قوم "لا يفقهون"، "لا يعقلون"، فكيف إذا بات المسلمون اليوم وهم أحق الناس بهذا الوصف[٦٨]، وأين المسلمون اليوم من سلفهم الذين عقلوا عن الله وفقهوا وعملوا، بل ابتكروا وأجادوا وأبدعوا وسادوا، واستخدموا ما احتاجوا إليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولم يكن له وجود في دنيا الناس(٦٩) فحققوا البناء الحضاري للأمة بتضحيتهم وذكائهم وإحسانهم، ويقول في ذلك مالك بن نبي: "إن التراب في أرض الإسلام عموماً على شيء من الانحطاط، بسبب تأخر القوم الذي يعيشون عليه(٧٠).

الخاتمة:

وضمنتها النتائج والتوصيات:

أ. النتائج:

البناء الحضاري قائم على ثلاثة أمور:

١. الإنسان المؤهَّل للبناء عقيدة وثقافة وأخلاقاً.
٢. العقيدة الصحيحة الموجِّهة للبناء.
٣. الأشياء (المواد الخام) التي يظهر من خلالها البناء.

ب. التوصيات:

١. جعل الإنسان (الذكر والأنثى) المناسب في المكان اللائق به والمناسب له.
٢. النظر في أسباب السقوط والبناء الحضاري التي عرضها القرآن الكريم؛ لأجل العبرة والعظة والاستفادة منها في البناء الحضاري المعاصر للأمة المسلمة.
٣. البحث والتنقيب في الأرض كمصدر للبناء الحضاري.
٤. استغلال الوقت (الزمن) لأهميته في البناء.

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش:

---

(١) مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ترجمة: عمر كامل وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، (ط٤)، ١٩٨٣م، ص١٣٩.

(٢) مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، (ط٣)، ٢٠٠٢م، ص٢٩.

(٣) إشارة إلى الحديث في: **صحيح البخاري**، كتاب النساء، باب الترغيب في النكاح، حديث رقم (٤٧٧٦).

(٤) راشد البداوي، **التفسير القرآني للتاريخ**، دار النهضة، القاهرة، (ط٢)، ١٩٧٦م.

(٥) محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط٥)، ١٩٩٦م، ج٩، ص٧٩-٨٠.

(٦) محمود الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني**، تحقيق: محمد أحمد وعمر عبد السلام، دار احياء التراث العربي، بيروت، (ط١)، ٢٠٠٠م، ج١، ص٥٣٥.

(٧) محمد بن عمر الرازي (توفي ٦٠٤هـ)، **التفسير الكبير**، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، ٢٠٠٠م، ج٢١، ص١٣.

(٨) محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط١)، ١٩٩١م، ج٣، ص٢٩٥.

(٩) السمت: حسن القصد والمذهب في أمور الدين والدنيا. انظر: محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ)، **لسان العرب**، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١٣، ص٢٧٠.

(١٠) محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط٥)، ١٩٩٦م، ج٩، ص١٢٤.

(١١) الرازي، **التفسير الكبير**، ج١٨، ص١٠٨.

(١٢) محمد الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، أخبار اليوم، القاهرة، ج١١، ص٦٩٤٢.

(١٣) الشعراوي، **تفسير**، ج١١، ص٦٩٧٢.

(١٤) محمود عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، **الكشاف**، طبعه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، ١٩٩٥م، ج٢، ص٤٥٧.

(١٥) محمد الشعراوي، **قصص الأنبياء**، جمع مادته العلمية: منشاوي غانم جابر، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ج١، ص٤٥٩.

(١٦) الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج١١، ص٦٩٧٥.

(١٧) الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج١١، ص٦٩٧٠.

(١٨) الزمخشري، **الكشاف**، ج٢، ص٤٣٧.

(١٩) الشعراوي، **قصص الأنبياء**، ج١، ص٤٥٦.

(٢٠) مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، ص١٧.

(٢١) الزمخشري، **الكشاف**، ج٢، ص٤٦٣-٤٦٤.

(٢٢) القرطبي، **الجامع**، ج٩، ص١٤١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٢٣) الألوسي، **روح المعاني**، ج١٣، ص٩.
(٢٤) الرازي، **التفسير الكبير**، ج١٨، ص١٢٨.
(٢٥) محمد الطاهر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مؤسسة التاريخ، بيروت، (ط١)، ٢٠٠٠م، ج١٢، ص٨٢.
(٢٦) الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج١١، ص٦٩٩٩.
(٢٧) محمد السيد الوكيل، **القيادة والجندية في الإسلام**، دار الوفاء، المنصورة، (ط٣)، ١٩٨٨م، ص١١٥.
(٢٨) أحمد بن تيميه (ت ٧٢٨هـ)، **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**، دار المعرفة، ص١٣٦.
(٢٩) محمد الحسن، **أزمة القيادة وعلاجها في واقعنا الإسلامي المعاصر**، دار الثقافة، الدوحة، مكتبة الغزالي، سوريا، (ط١)، ١٩٩٠م، ص٣٠.
(٣٠) الشعراوي، **تفسير**، ج١٧، ص١٠٩٠٩.
(٣١) محمد عمارة، **الإسلام والأمن الاجتماعي**، دار الشروق، القاهرة، (ط١)، ١٩٩٨م، ص١١١.
(٣٢) أحمد عمر هاشم، **الأمن في الإسلام**، دار المنارة، الأزبكية، ١٩٨٦م، ص٢٧.
(٣٣) الشعراوي، **تفسير**، ج١١، ص٧٠٠٣.
(٣٤) الشعراوي، **تفسير**، ج١١، ص٧٠٦٥.
(٣٥) الرازي، **التفسير الكبير**، ج١١، ص١٦٤.
(٣٦) النورسي، **الكلمات**، ترجمة: إحسان الصالحي، مطبعة النسل، ص٨٨٣.
(٣٧) محمد صالح الصديق، **الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٠م، ص٦٨.
(٣٨) الألوسي، **روح المعاني**، ج١٣، ص١٠.
(٣٩) الرازي، **التفسير الكبير**، ج١٨، ص١٣٠.
(٤٠) أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، **إحياء علوم الدين**، دار الكتب العلمية، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٦م، ج١، ص٣٨.
(٤١) محمد رشيد رضا، **المنار**، دار الفكر، سوريا، (ط٢)، ج٩، ص٢٨-٢٩.
(٤٢) مالك بن نبي، **ميلاد المجتمع**، ص٣٧.
(٤٣) محمد هيشور، **سنن القرآن في سقوط الحضارات**، ضمن موقع منتدى القرآن (montadalquran.com).
(٤٤) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، **المقدمة**، دار الكتب العلمية، بيروت،(ط١)، ١٩٩٢م، ج١، ص٣٧.
(٤٥) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٢، ص٤٧.
(٤٦) إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، وضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط٢)، ٢٠٠٣م، ج٤، ص٣٩-٤١.
(٤٧) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٢، ص٦٤.
(٤٨) الألوسي، **روح المعاني**، ج١١، ص٥٩٢.
(٤٩) إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، دار الفكر، عمان، ج٢، ص٥٠٨.
(٥٠) الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، ج١٢، ص٧٠٧٧، ٧٠٨٣.
(٥١) توفيق الواعي، **الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية**، دار الوفاء، القاهرة، (ط١)، ١٩٨٨م، ص٤٧٠.
(٥٢) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، دار الفكر، بيروت، ج٢، ص٨.
(٥٣) البخاري، **صحيح البخاري**، باب الأدب المفرد، دار السلام، الرياض، (ط١)، ١٩٩٧م، ص٩٧.
(٥٤) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب المساقاة، ج٣، ص١١٨٩.
(٥٥) عماد الدين خليل، "نشوء الحضارات وازدهارها في المنظور القرآني"، **سلسلة الندوات والمحاضرات**، عمان، مج(١)، ع(١)، ٢٠٠٢م، ص٣٨.
(٥٦) عماد الدين خليل، **سلسلة الندوات والمحاضرات**، ص٣٨.
(٥٧) سميح عاطف الزين، **خطوط عريضة في الاقتصاد**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (ط١)، ١٩٧٤م، ص٥٨.
(٥٨) سيد قطب، **الإسلام ومشكلات الحضارة**، دار الشروق، بيروت، (ط١٦)، ١٩٨٠م، ص١٠٦.
(٥٩) سيد نميري، **اقتصاديات التنمية**، الإمارات، مطبعة دبي، ١٩٨٢م، ص٧٢.
(٦٠) محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، **فتح القدير**، صححه: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٢، ج٥، ص٣١٣.
(٦١) محمد البشير مرعي، **الحاجات البشرية**، دار البحوث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، (ط١)، ٢٠٠١م، ص١٨٣.

(٦٢) الشوكاني، **فتح القدير**، ج٣، ص٣٨.

(٦٣) القرطبي، **الجامع**، ج٩، ص١٣٣.

(٦٤) مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، ص٣٧-٤٥.

(٦٥) محمد الغزالي، **الإسلام والطاقات المعطلة**، القاهرة، (ط٤)، ١٩٨٣م، ص١٩٥.

(٦٦) أخرج أبو داوود عن ابن عمر – يرفعه- "إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم"، انظر: **سنن أبي داوود**، كتاب البيوع، باب النهي عن بيع العينة، دار الفكر، ج٣، ص٢٧٤.

(٦٧) يوسف القرضاوي، **أين الخلل**، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط٤)، ١٩٩٣م، ص٩.

(٦٨) القرضاوي، **أين الخلل**، ص١٢.

(٦٩) محمد الغزالي، **كيف نتعامل مع القرآن**، المعهد العالي للفكر الإسلامي، (ط٤)، ١٩٩٣م، ص٦٢.

(٧٠) مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ص١٣٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com